

الصوفية
في ميزان
الكتاب والسنة

للشيخ أبو النور المقدسي

من منشورات
الجبهة الإعلامية الإسلامية العالمية
صفر ١٤٢٨ هـ

الصوفية في ميزان الكتاب والسنة

للشيخ

أبو النور المقدسي

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد انتشرت الصوفية في بلاد العالم الإسلامي، وانقسم الناس فيها إلى فريقين: مؤيد ومعارض، فكيف يعرف المسلم الحق ؟ هل هو مع المؤيدين للصوفية، فيسير معهم ؟ أم هو من المعارضين للصوفية فيجتنبهم ؟

إذاً لابد من الرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة لمعرفة ذلك عملاً بقوله تعالى : " فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول " [النساء 59]

لم يعرف الإسلام اسم الصوفية في زمن الرسول وصحابته والتابعين، ثم جاء جماعة من الزهاد لبسوا الصوف، فأطلقوا هذا الاسم عليهم، وقيل مأخوذ من كلمة (صوفيا) ومعناها الحكمة، حينما ترجمت كتب الفلسفة اليونانية، وليست مأخوذة من الصفاء كما يدَّعي بعضهم لأن النسبة إلى الصفاء (صفائي) وليست (صوفي).

يقول أبو الحسن الندوي في كتابه (ربانية لا رهبانية) : ليتهم ما قالوا صوفية، بل سموها تزكية، كما قال الله تعالى : " ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم " [البقرة – 129]. فظهور هذا الاسم الجديد فرَّق المسلمين.

وقد تختلف الصوفية الأوائل عن الصوفية المتأخرة التي انتشرت فيها البدع أكثر من سالفتها، وقد حذر منها الرسول ρبقوله : " إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة " رواه الترمذي وقال حسن صحيح.

ومن الإنصاف أن نضع تعاليم الصوفية في ميزان الإسلام لنرى قربها أو بعدها عنه:-

1- **الصوفية لها طرق متعددة** كالتيجانية، والقادرية، والنقشبندية، والشاذلية، والرفاعية وغيرها من الطرق التي يدَّعي كل منها أنه على الحق، وغيرها على باطل،

والإسلام ينهي عن التفرق ويقول الله تعالى في كتابه المجيد : " ولا تكونوا من المشركين من الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون [الروم 31-32].

2- **الصوفية تدعو غير الله من الأنبياء والأولياء الأحياء والأموات**، فهم يقولون : (يا جيلاني ويا رفاعي ويا رسول الله غوثاً ومدداً ويا رسول الله عليك المعتمد).

والشرع الحكيم ينهى عن دعاء غيره، ويعتبره شركاً إذ يقول الله تبارك وتعالى: " ولا تدُع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين " [يونس – 106].(الظالمين : أي المشركين)،

والرسول ρ يقول : " الدعاء هو العبادة " رواه الترمذي وقال حسن صحيح. فالدعاء عبادة كالصلاة لا تُصرف لغير الله ولو كان رسولاً أو ولياً، وهو من الشرك الأكبر الذي يحبط العمل، ويخلد صاحبه في النار.

3- **الصوفية تعتقد أن هناك أبدالاً وأقطاباً وأولياء سلَّم الله لهم تصريف الأمور وتدبيرها في الكون**

والله يحكي جواب المشركين حين يسألهم : " ومن يدبر الأمر فسيقولون الله "[يونس – 31]، فكان مشركو مكة أحسن حالاً منهم في هذه القضية. [الأنعام – 17] .والصوفية يلجئون لغير الله عند نزول المصائب والله يقول : " وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير" والله يحكي عن المشركين في الجاهلية حين تنزل بهم المصائب : " ثم إذا مسكم الضُّرُّ فإليه تجأرون " [النحل – 53].

4- **بعض الصوفية يعتقد بوحدة الوجود**، فليس عندهم خالق ومخلوق، فالكل خلق، والكل إله، وزعيمهم ابن عربي المدفون بدمشق يقول:

العبد رب، والربُّ عبدٌ *** يا ليت شعري من المكلَّف ؟
إن قلت عبدٌ فذاك حق *** أو قلت رب فأنَّى يُكلَّف ؟[1]

5- **الصوفية تدعو إلى الزهد في الحياة، وترك الأسباب والجهاد**. والله تعالى يقول : "وابتغِ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنسَ نصيبك من الدنيا " [القصص –77]. " وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ " [الأنفال – 60].

6- **الصوفية تعطي مرتبة الإحسان إلى شيوخهم وتطلب منهم أن يتصوروا شيخهم عندما يذكرون الله،** حتى في صلاتهم، وهناك منهم من يضع صورة شيخه أمامه في الصلاة.

والرسول ρ يقول : " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " رواه مسلم.

7- **الصوفية تدعي أن عبادة الله لا تكون خوفاً من ناره، ولا طمعاً في جنته،** ويستشهدون بقول رابعة العدوية : [اللهم إن كنت أعبدك خوفاً من نارك فاحرقني فيها، وإن كنت أعبدك طمعاً في جنتك فاحرمني منها] وترى بعضهم ينشدون قول عبد الغني النابلسي: من كان يعبد الله خوفاً من ناره فقد عبد النار، ومن عبد الله طلباً للجنة فقد عبد الوثن.

والله عز وجل يمدح الأنبياء الذين يدعونه طلباً لجنته وخوفاً من عذابه فيقول: " إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً " [الأنبياء – 90].أي (راغبين في جنته، خائفين من عذابه). والله يخاطب رسوله الكريم قائلاً: " قل إنِّي أخاف إن عصيت ربي عذاب يومٍ عظيم "[الأنعام – 15].

[1] الفتوحات المكية لابن عربي.

8- **الصوفية تبيح الرقص والدف ورفع الصوت بالذكر** والله تعالى يقول: " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم " [الأنفال – 3] ثم تراهم يذكرون بلفظ (الله) حتى يصلون إلى التلفظ بكلمة (أه، آه) والرسول ρ يقول : " أفضل الذكر : لا إله إلا الله " حديث حسن رواه الترمذي. ورفع الصوت في الذكر والدعاء منهي عنه بقول الله تعالى : " ادعوا ربكم تضرعاً وخُفيةً إنّه لا يحب المعتدين " [الأعراف - 55]. (لا يُحب المعتدين في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت) ذكره تفسير الجلالين. والرسول ρ يسمع أصحابه يرفعون أصواتهم فيقول لهم : " أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم" رواه مسلم، : (وهو معكم : بسمعه وعلمه).

9- **الصوفية تذكر اسم الخمر والسُّكْرِ وتتغنى به**، فيقول شاعرهم ابن الفارض:-

شربنا على ذكر الحبيب مُدامة *** سكرنا بها من قبل أن يُخلَق الكرم

وتراهم في بعض المساجد ينشدون: هات كاس الراح واسقنا الأقداح (والمدامة والراح : من أسماء الخمر) .نقول : لا يستحي المتصوفة من ذكر أسماء الخمر في بيت الله الذي أُنشئ لذكر الله لا لذكر أسماء الخمر المحرمة، والله تعالى يقول : " يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون " [المائدة – 90].

10- **الصوفية تتغزل باسم النساء والصبيان في مجالس الذكر**، فيرددون اسم الحب، والعشق والهوى، وليلى، وسعاد، وغيرها، وكأنهم في مجلس طرب، فيه الرقص، وذكر الخمر، مع التصفيق والصياح، والتصفيق من عادة المشركين وعبادتهم، قال تعالى : " وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديةً " [الأنفال –35] .(المكاء : الصفير، والتصدية : التصفيق).

11- **الصوفية تستعمل الدف المسمى (بالمزهر) في ذكرها**، وهو مزمار الشيطان، فقد دخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها جاريتين تضربان بالدف، فقال أبو بكر : مزمار الشيطان (مرتين)، فقال له الرسول ρ : " دعهما يا أبا بكر، فإنهما في يوم عيد " رواه البخاري بألفاظ مختلفة. فقد أقر الرسول أبا بكر على قوله، ولكنه أخبره أنه في يوم عيد مسموح به للبنات، ولم يثبت عن الصحابة والتابعين أنهم استعملوا الدف عند ذكرهم بل هو من بدع الصوفية التي حذر منها الرسول ρ بقوله : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌ " [رواه مسلم]. (رد : غير مقبول).

12- **بعض الصوفية يضرب نفسه بسيخ حديد بعد أن يتلو عزيمته الشركية** أو أن يستغيث ويستعين بغير الله عزَّ وجلّ فتأتيه الشياطين ليساعدوه على فعله، لأنه استغاث بغير الله.والدليل قول الله تعالى : " ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيِّض له شيطاناً فهو له قرين " [الزخرف – 36]. (يَعشُ : يُعرض). وبعض الجهال يظن أن هذا العمل من الكرامات، مع أن الفاعل لها قد يكون فاسقاً وتاركاً للصلاة، وكيف نعتبره

كرامة، وصاحبه قد استغاث بغير الله بل هذا من الشرك والضلال الذي قال الله فيه: " ومن أضلُّ ممن يدعو من دون الله " [الأحقاف – 5]. وهو استدراج في طريق الضلال لفاعله بعد أن اختار الطريق لنفسه، قال الله تعالى : " قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدّاً "[مريم – 75].

13- **الصوفية لها طرق كثيرة كالتيجانية، والشاذلية، والنقشبندية**، وغيرها، والإسلام له طريق واحد فقط، والدليل حديث ابن مسعود رضي الله عنه حين قال : خط لنا رسول الله ρ خطاً بيده، ثم قال : " هذا سبيل الله مستقيماً "، وخط خطوطاً عن يمينه وشماله، ثم قال : " هذه السُّبل، ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه " ثم قرأ قوله تعالى : " وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه، ولا تتبعوا السبل فتفرَّق بكم عن سبيله ذلكم وصَّاكُم به لعلكم تتقون "[الأنعام – 153] [صحيح رواه أحمد والنسائي].

14- **الصوفية تَدَّعي الكشف وعلم الغيب**، والقرآن يكذبهم قائلاً : " قُل لا يعلم مَنْ في السماوات والأرض الغيب إلا الله " [النمل – 65]. وقال : ρ " لا يعلم الغيب إلا الله " [حسن رواه الطبراني].

15- **الصوفية تزعم أنَّ الله خلق محمداً من نوره، وخلق من نوره جميع الأشياء**، والقرآن يكذبهم قائلاً : " قُل إنّما أنا بشر مثلكم يُوحى إليَّ ... " [الكهف – 110].وقوله تعالى عن خلق آدم : " إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين "[ص – 71]. وأما حديث: " أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر " فهو موضوع وباطل.

16- **الصوفية تزعم أنّ الله خلق الدنيا لأجل محمد ρ** والقرآن يكذبهم قائلاً: " وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون " [الذاريات – 56].وخاطب القرآن الرسول ρ بقوله : " واعبد ربك حتى يأتيك اليقين "[الحجر – 99].(اليقين : الموت).

17- **الصوفية تزعم رؤية الله في الدنيا**، والقرآن يكذبهم حين قال على لسان موسى " رب أرني أنظر إليك قال لن تراني " [الأعراف – 143].وقد ذكر الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين (باب حكاية المحبين ومكاشفاتهم)، هذه القصة : قال أبو تراب يوماً : لو رأيت أبا يزيد !، فقال له صديقه : إني عنه مشغول، قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد، قال أبو تراب : ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد (البسطامي) مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة. ثم قال الغزالي : فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن. أقول للغزالي : بل يجب على المؤمن أن ينكرها لأنها كذب وكفر تخالف القرآن والحديث والعقل.

18- **الصوفية تدعي وتزعم رؤية الرسول ρ في الدنيا يقظة**، والقرآن يكذبهم قائلاً : "و من ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون " [المؤمنون – 100]. (أي من ورائهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا إلى يوم

القيامة)، ذكره الطبري ولم ينقل إلينا أن أحداً من الصحابة رأى الرسول يقظة، فهل هم أفضل من الصحابة ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

19- **الصوفية تزعم أنها تأخذ العلم من الله مباشرة بدون واسطة الرسول ρ** فيقولون : (حدثني قلبي عن ربي)، قال ابن عربي المدفون بدمشق في كتابه الفصوص : (فمنا الخليفة عن الرسول الذي يأخذ الحكم عنه ρأو بالاجتهاد الذي أصَّلَه أيضاً، وفينا من يأخذه عن الله فيكون خليفة الله) !

أقول : هذا الكلام باطل يخالف القرآن الذي ينص على أن الله أرسل محمداً ρ ليبلغ الناس أوامر الله، قال الله تعالى : " يا أيها الرسول بلِّغ ما أُنزِلَ إليك من ربك" [المائدة – 67].ولا يمكن لأحد أن يأخذ عن الله مباشرة، وهو كذب وافتراء، ثم إن الإنسان لا يكون خليفة عن الله، لأن الله لم يغب عنا حتى يخلفه الإنسان، فالله هو الذي يخلفنا حينما نغيب ونسافر، لذلك جاء في الحديث " : اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل "[رواه مسلم].

20- **الصوفية تقيم المولد والاجتماع باسم الصلاة على النبيρ** ، وهم يخالفون تعاليمه، ولذلك حينما يرفعون أصواتهم في الذكر والأناشيد والقصائد التي فيها الشرك الصريح، فتراهم يقولون مخاطبين الرسول ρ : المدد يا عريض الجاه المدَد ويا مفيض النور على الوجود المدد يا رسول الله فرّج كربنا ما رآك الكرب إلا وشرَد، أقول : الإسلام يوجب علينا الاعتقاد بأن مفيض النور على الوجود، والمفرج للكروب هو الله وحده.

21- **الصوفية تشد الرحال إلى القبور للتبرك بأهلها أو الطواف حولها،** أو الذبح عندها مخالفين قول الرسول ρ : " لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى ".

22- **الصوفية تتعصب لشيوخها، ولو خالفت قول الله ورسوله،** والله تعالى يقول : " يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله " الحجرات –1 والرسول ρ يقول : " لا طاعة لأحدٍ في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف " متفق عليه.

23- **الصوفية تستعمل الطلاسم والحروف والأرقام لعمل الاستخارة، والتمائم والحجب،** وغير ذلك. نقول : لماذا يلجئون إلى الخرافات من حساب الزوجين في الاستخارة، وغيرها من البدع والمنكرات، ويتركون دعاء الاستخارة الوارد في صحيح البخاري الذي كان يُعلِّمه الرسول ρ أصحابه كالسورة من القرآن يقول : " إذا هَمَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب .... الخ " [رواه البخاري].

24- **الصوفية لا تتقيد بالصلوات الواردة عن الرسولρ** ، بل يبتدعون صلوات فيها الشرك الصريح الذي لا يرضاه الذي يُصلون عليه، فقد جاء في كتاب (أفضل الصلوات) لشيخ لبناني صوفي يقول فيه : (اللهم صلِّ على محمد حتى تجعل منه الأَحدية القيومية).

نقول : [الأحدية، والقيومية : من صفات الله وأسمائه فلا تصرف إلا لله عزَّ وجلَّ].وفي كتاب (دلائل الخيرات) صلوات مبتدعة لا يرضاها الله ورسوله . ρ وهكذا يتبين لك أيها الأخ الحبيب أن الصوفية بعيدة عن الإسلام جداً بعد أن رأيت اعتقادها وأعمالها في ميزان الإسلام، وأن العقل السليم يرفض هذه البدع والضلالات والمنكرات التي توقع في الشرك والكفر. اللهم أرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه وحببنا إليه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وكرهنا فيه، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وسلم.

من أقوال الصوفية

إنَّ كثيراً من الناس يظن أنَّ الصوفية من الإسلام، وأنَّ فيهم الأولياء، وأريد لكل أخ مسلم أن يطلع على أقوالهم ليرى بعدَهم عن الإسلام وتعاليم القرآن:

1- يقول الشيخ مُحيي الدين بن عربي المدفون بدمشق وهو كبير الصوفية في كتابه الفتوحات المكية : "**ورُب حديث يكون صحيحاً عن طريق رواته حصل لهذا المكاشف الذي عاين هذا المظهر، فسأل النبيρ عن هذا الحديث فأنكره وقال له : " لم أقله ولا حكمت به فيعلم ضعفه، فيترك العمل به، على بينةٍ من ربه، وإن كان عمل به أهل النقل لصحة طريقه، وهو في نفس الأمر ليس كذلك** " وهذا الكلام موجود في مقدمة كتاب الأحاديث المشتهرة للعجلوني. هذا الكلام خطير وضربٌ للحديث النبوي، وطعن في علماء الحديث كالبخاري ومسلم وغيره.

2- ويقول ابن عربي عن وحدة الأديان كاليهودية والنصرانية والوثنية والإسلام:

وقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي * إذا لم يكن ديني إلى دينه داني**

فأصبح قلبي قابلاً كل حالة * فمرعىً لغزلان، ودير لرُهبان**

وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةِ طائف * وألواح توراةٍ ومُصحف قرآن**

والقرآن يرد كلام ابن عربي ويقول: " ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين "[آل عمران – 85].

3- وابن عربي يعتقد أن الله هو المخلوق، والمخلوق هو الله، وكل منهما يعبد الآخر، ويُعبِّر عن ذلك بقوله :- **فَيحمدُني وأحمدُه ويعبدُني وأعبدُه** ؟.

4- ويقول ابن عربي في كتابه الفصوص : " **إن الرجل حينما يضاجع زوجته، إنما يضاجع الحق** " ! .

5- ويشرح النابلسي ذلك بقوله : " **إنما ينكح الحق** ".

6- ويقول أبو يزيد البسطامي يخاطب الله : **فزيني بوحدانيتك، وألبسني رَبَّانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك** ويقول عن نفسه : س**بحاني سبحاني، ما أعظم شأني، الجنة لعبة صبيان** !!.

7- ويقول جلال الدين الرومي : **مسلم أنا ولكني نصراني، وبرهامي، وزادشتي، ليس لي سوى معبد واحد ... مسجد، أو كنيسة، أو بيت أصنام !!**

8- يقول ابن الفارض : **إن الله تجلَّى لقيس بصورة ليلى، وتجلى لكثير بصورة عزة، وتجلى لجميل بصورة بُثينة في قصيدته التائيّة المعروفة،** فهو يعتبر أن هذا من تجليات الحق.

9-سُئلت رابعة العدوية : هل تكرهين الشيطان ؟ فقالت : " **إن حبي لله لم يترك في قلبي كراهية لأحد** " وتقول مخاطبة لله تعالى : " **إن كنتُ أعبدُك خوفاً من نارك فاحرقني بها !!** " والله يحذرنا من النار فيقول : " يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً ... " [التحريم – 6]. وقالوا عن رابعة : إنها كانت مُغنِّية أو راقصة، فكيف يجوز الأخذ بقولها، وهي تخالف القرآن ؟

10- ألَّف الشيخ عثمان البرهاني وهو صوفي معاصر من السودان كتاباً سماه (انتصار أولياء الرحمن على أولياء الشيطان) : (ويقصد الوهابيين والإخوان المسلمين).

كرامات الصوفية

تزعم الصوفية أن لها رجالاً من الأولياء لهم كرامات وسأذكر للقارئ الكريم شيئاً من كراماتهم الصادرة عن أوليائهم ليرى أنها خرافات وضلالات وكفريات . يقول الشعراني في كتابه "الطبقات الكبرى" يُعدد كرامات أولياء الصوفية:

1- وكان رضي الله عنه يلبس الشاش المخطط كعمامة النصارى، وكان دكانه منتناً قذراً لأن كل كلب وجده ميتاً أو خروفاً يأتي به فيضعه داخل الدكان، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده، وأنه توجه إلى المسجد فوجد في الطريق مسقاة كلاب فتطهر فيها، ثم وقع في مشخة حمير.

2- وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرداً (شاباً بلا لحية) راوده عن نفسه، وحسَّسَ على مقعدته، سواء كان ابن أمير أو ابن وزير، ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس !...

3- ويتحدث الشعراني عن سيده (علي وحيش) فيقول : وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره، يُنزله من على الحمار ويقول له امسك رأسها حتى أفعل بها، فإن أبى شيخ البلد، تسمَّر في الأرض لا يستطيع أن يمشي خطوة.

4- يقول الشعراني عن سيده محمد الخضري : " أخبرني الشيخ أبو الفضل السرسي، أنه جاءهم يوم الجمعة، فسألوه الخطبة، فطلع على المنبر، وحمد الله وأثنى عليه وحده ثم قال : " وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام "، فقال الناس : كفر، فسل السيف ونزل وهرب الناس كلهم من الجامع، فجلس على المنبر إلى أذان العصر، وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع، ثم جاء بعض أهالي البلاد المجاورة، فأخبر أهل بلدة أنه خطب عندهم وصلى فيهم، فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة، هذا ونحن نراه جالساً عندنا في الخطبة ".

الجهاد عند الصوفية

الجهاد الصحيح عند الصوفية قليل جداً فهم مشغولون بجهاد أنفسهم على زعمهم ويروون حديثاً كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية وهو قوله : ρ " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس ".
فهذا لم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبيρ ، بل الواضح من القرآن والسنة أن جهاد الكفار من أعظم القُرُبات إلى الله تعالى، وهذه أقوال الصوفية في الجهاد:

1- يقول الشعراني : لقد أُخذ علينا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيفما دار، ولا يزدرون قط من رفعه الله عليهم، ولو كان في أمور الدنيا وولايتها.
2- ويقول ابن عربي : إن الله إذا سلَّط ظالماً على قوم : فلا يجب أن يقاوموه، لأنه عقاب لهم من الله.
3- وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية، فلم نسمع أن واحداً منهما شارك في قتال، أو دعا إلى قتال، أو سجل في شعره أو نثره آهة على الفواجع التي نزلت بالمسلمين، لقد كانا يقرران للناس : أن الله هو عين كل شيء، فليدع المسلمون الصليبيين، فما هم إلا الذات الآلهية متجسدة بتلك الصور.
4- ويذكر الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) عند بحث طريقة التصوف، أنه كان خلال الحروب الصليبية مشغولاً في خلوته تارة في مغارة دمشق، وتارة في صخرة بيت المقدس، يغلق بابها عليه في مدة تزيد على السنتين .
ولما سقط بيت المقدس في يد الصليبيين عام 492 هـ لم يُحِّرك الغزالي ساكناً، ولا دعا للجهاد لإعادته، مع أنه عاش (12) سنة بعد سقوطه. وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي، لم يذكر فيه شيئاً عن الجهاد أبداً، بل ذكر فيه كثيراً من الكرامات التي هي خرافات وكفريات، وهي في الجزء الرابع صحيفة 456.
5- ويذكر صاحب كتاب (تاريخ العرب الحديث والمعاصر) أن أصحاب الطرق الصوفية أشاعوا الخرافات والبدع، وبثُّوا روح الانهزامية والسلبية في النضال، فاستخدمهم، الاستعمار كجواسيس.
6- ومن كتاب (في التصوف) لمحمد فهر شقفة السوري ص 217 يقول : (نرى من واجبنا خدمة للحقيقة والتاريخ أن نذكر أن الحكومة الفرنسية في زمن الانتداب على سورية حاولت نشر هذه الطريقة(التيجانية) واستأجرت بعض الشيوخ لهذه المهمة، فقدمت لهم المال والمكان لتنشئة جيل يميل إلى فرنسا، لكن مجاهدي المغرب لفتوا انتباه المخلصين من أهل البلاد إلى خطر الطريقة التيجانية، وأنها فرنسية استعمارية تتستر بالدين، فهبت دمشق عن بكرة أبيها في مظاهرات صاخبة).

تعليق عقائدي على قصيدة البردة

هذه القصيدة للشاعر البوصيري مشهورة بين الناس ولا سيما بين الصوفيين، ولو تدبرنا معناها لرأينا فيها مخالفات للقرآن وسنة الرسول ρ فهو يقول في قصيدته:

1- يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العَمِمِ**

يستغيث الشاعر بالرسول ρ ويقول له : لا أجد من ألتجئ إليه عند نزول الشدائد العامة إلا أنت، وهذا من الشرك الأكبر الذي يُخلِّد صاحبه في النار إن لم يتب منه، لقوله تعالى : " ولا تدعُ من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين " [يونس – 106]. (أي المشركين) لأن الشرك ظلم عظيم. وقوله ρ:" من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار"[رواه البخاري]. (الند : المثيل).

2- فإن من جودك الدنيا وضرتَها * ومن علومك علمَ اللوحِ والقلم**

وهذا مخالف لقول الله تعالى : " وإنَّ لنا للآخرةَ والأولى " [الليل – 13]. فالدنيا والآخرة هي من الله ومن خلقه، وليست من جود الرسول ρ وخلقه، والرسول ρ لا يعلم ما في اللوح المحفوظ، إذ لا يعلم ما فيه إلا الله وحده، وهذا إطراء ومبالغة في مدح الرسول ρ حتى جعل الدنيا والآخرة من جود الرسول وأنه يعلم الغيب الذي في اللوح المحفوظ بل إن ما في اللوح من علمه قال تعالى " قل لا يعلمُ من في السماوات والأرض الغيب " [النمل -65] ... هذا وقد نهانا الرسول ρ عن الإطراء فقال " : لا تُطْرُوني كما أَطْرَتْ النَّصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ، فقولوا عبد الله ورسوله "[رواه البخاري].

3- ما سامني الدهر ضيماً واستجرت به * إلا ونلت جواراً منه لم يُضَمِ**

يقول : ما أصابني مرض أو هم وطلبت منه الشفاء أو تفريج الهم إلا شفاني وفرَّج همي. والقرآن يحكي عن إبراهيم عليه السلام قوله أنه قال : " وإذا مرضتُ فهو يشفين " [الشعراء – 80]. " وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو " [الأنعام – 17]. والرسول ρ يقول : " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله " [رواه الترمذي وقال حسن صحيح] ... ولذلك فالرسول ρ لا يملك لنفسه فضلاً عن أن يملك لغيره ضراً أو نفعاً أو شفاءً أو تفريج همٍ أو غمٍ فالشفاء بيد الله عزَّ وجلَّ وهو الذي يفرج الكُربات، ويغيث اللهفات ويغني ذوي الفاقات ويعافى أصحاب العاهات والبليات.

4- فإن لي ذمةً منه بتسميتي * محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم.**

يقول الشاعر : إن لي عهداً عند الرسول أن يدخلني الجنة، لأن اسمي محمداً، ومن أين له هذا العهد، ونحن نعلم أن كثيراً من الفاسقين والشيوعيين من المسلمين اسمه محمد ؟ فهل التسمية بمحمد مُبرر لدخولهم الجنة ؟ والرسول ρ قال لبنته فاطمة رضي الله عنها: " سليني من مالي ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً " [رواه البخاري].

5- لعل رحمة ربي حين يَقْسمُها * تأتي على حسب العصيان في القِسَمِ**

" إنَّ رحمت الله قريبٌ من المحسنين " وهذا غير صحيح، فلو كانت الرحمة تأتي قسمتها على قدر المعاصي كما قال الشاعر لكان على المسلم أن يزيد في المعاصي حتى يأخذ من الرحمة أكثر، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل لأنه يخالف قول الله تعالى: [الأعراف – 56] ومعنى ذلك أن رحمة الله بعيدة عن العاصين. والله تعالى يقول : " ورحمتي وسعت كل شيءٍ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون " [الأعراف - 156].

6-وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تُخرج الدنيا من العدم.**

الشاعر يقول : لولا محمد ρ لما خُلقت الدنيا، والله يكذبه ويقول : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " [الذاريات – 56]. وإن محمداً ρ خُلق للعبادة وللدعوة إليها يقول الله تعالى : " واعبد ربك حتى يأتيَك اليقين " [الحجر – 99] ... (اليقين : الموت).

7-أقسمت بالقمر المنشق إنَّ له * من قلبه نسبة مبرورة القِسَمِ.**

الشاعر يقسم ويحلف بالقمر، والرسول ρ يقول: " من حَلَفَ بغير الله فقد أشرك " [حديث صحيح – رواه أحمد]. ثم يقول الشاعر يخاطب الرسول قائلاً:

8- لو ناسبت قدره آياته عِظماً * أحيا اسمه حين يُدعى دارس الرمم.**

ومعناه : لو ناسبت معجزات الرسول ρ قدره في العظم، لكان الميت الذي أصبح بالياً يحيا وينهض بذكر اسم الرسولρ ، وبما أنه لم يحدث هذا فالله لم يُعط الرسول ρ حقه من المعجزات، فكأنه اعتراض على الله حيث لم يعط الرسول ρ حقه !! وهذا كذب وافتراء على الله، فالله تعالى أعطى كل نبي المعجزات المناسبة له، فمثلاً أعطى عيسعليه السلام معجزة إبراء الأعمى والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله وليس باسم عيسى عليه السلام، وأعطى لسيدنا محمد ρ معجزة القرآن الكريم، وتكثير الماء والطعام وانشقاق القمر وغيرها.

ومن العجيب أن بعض الناس يقولون : إن هذه القصيدة تسمى بالبردة وبالبُرأة، لأن صاحبها كما يزعمون مرض فرأى الرسولρ ، فأعطاه جبته فلبسها فبرئ من مرضه ! – وهذا كذب وافتراء – حتى يرفعوا من شأن هذه القصيدة، إذ كيف يرضى الرسول ρ بهذا الكلام المخالف للقرآن ولهديه ρ وفيه شرك صريح.

علماً بأن رجلاً جاء إلى رسول الله ρ فقال له : ما شاء الله وشئت، فقال له الرسول " : ρ أجعلتني لله ندّاً؟ قُل ما شاء الله وحده " [رواه النسائي بسند صحيح] ... (الند : المثل والشريك).

فاحذر أخي المسلم قراءة هذه القصيدة وأمثالها المخالفة للقرآن، وهدي الرسول عليه الصلاة والسلام، والعجيب أن في بعض بلاد المسلمين من يُشيّع بها موتاهم إلى القبور، فيضمون إلى هذه الضلالات بدعة أخرى حيث أمر رسول الله ρ بالصمت عند تشييع الجنائز ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

تعليق عقائدي على كتاب دلائل الخيرات

أما بعد فإن كتاب (دلائل الخيرات) لمؤلفه محمد بن سليمان الجزولي منتشر في العالم الإسلامي، ولا سيما في المساجد يقرؤه المسلمون كثيراً وربما قدموه على قراءة القرآن ولا سيما يوم الجمعة، وتتسابق المطابع في طبعه طمعاً في الربح المادي والدنيوي دون النظر إلى الخسارة الأخروية التي تلحق أصحاب المطابع . ولو تصفح المسلم العاقل المطلع على أحكام دينه الكتاب لوجد فيه مخالفات شرعية كبيرة، وأهم هذه المخالفات:

1- يقول مؤلفه في المقدمة (ص12) **(مستمداً من حضرته العالية)**. ويقصد به الرسول. ρ نقول : هذا الكلام يخالف القرآن الذي لا يجيز طلب المدد من الله قال تعالى : " بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مُسوِّمين " . [آل عمران – 125]. وكلام (دلائل الخيرات) يخالف قول الرسول : ρ " إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله " [رواه الترمذي وقال حسن صحيح]

2- .ثم يقول في (حزب النصر لأبي الحسن الشاذلي) المكتوب على الهامش ص 7 : **(يا هو، يا هو، يا من بفضله لفضله نسألك العجل)**. نقول : إن كلمة (هو) ليست من أسماء الله الحسنى، بل هي ضمير يعود على الكلمة التي قبلها، ولذلك لا يجوز إدخال (يا) عليها كما يفعل الصوفية، وهي من بدعهم يزيدون في أسماء الله ما ليس منها.

3- ثم يذكر المؤلف أسماء الرسول ρ ويعددها، ويصفها بأسماء وصفات لا تليق إلا بالله عز وجل، علماً بأن أسماء الرسول وردت في قوله " : ρ إنَّ لي أسماء : أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد وقد سماه الله رءوفاً رحيماً " [رواه مسلم] وعن أبي موسى الأشعري قال : كان رسول الله ρ يسمي لنا نفسه أسماء، فقال : " أنا محمد، وأحمد، والمقفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة ".

4- وأسماء الرسول التي ذكرها كتاب (دلائل الخيرات) هي بدءاً من 37- 47 **(محيي، منجٍ، ناصر، غوث، غياث، صاحب الفرج، كاشف الكرب،شاف)**. [ص38، 40، 43، 47]. أقول هذه الأسماء والصفات لا تليق إلا بالله، فالمحيي، والمنجي، والناصر، والمغيث، والشافي، وكاشف الكرب، وصاحب الفرج هو الله سبحانه وتعالى، وقد أشار القرآن إلى ذلك فقال إبراهيم عليه السلام " : الذي خلقني فهو يهدين . والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يميتني ثم يحيين " [الشعراء، 78-81] .وقد أمر الله تعالى رسوله أن يقول للناس : " قل إنّي لا أملك لكم ضراً ولا رشداً) [الجن، 21]. " قل إنما أنا بشر مثلكم يُوحى إليَّ أنَّما إلهكم إلهٌ واحدٌ " [الكهف – 110]. نقول : إن صاحب (دلائل

الخيرات) خالف القرآن، وسوّى بين الله ورسوله في أسمائه وصفاته، وهذا مما يتبرأ منه الرسول ρ ولو سمعه لحكم على قائله بالشرك الأكبر ... جاء رجل إلى رسول الله ρ فقال له : " ما شاء الله وشئت "، فقال : " أجعلتني لله نداً، قل ما شاء الله وحده " [رواه النسائي بسند صحيح] . (الند : المثيل والشريك). وقال ρ : " لا تُطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله " . [رواه البخاري]. (الإطراء : المبالغة والزيادة في المدح، ويجوز مدحه بما ورد في الكتاب والسنة). [ص41، 42]

5- ثم ذكر بعض أسماء الرسول ρ : " **مهيمن، جبار، روح القدس** " والقرآن ينفي عن الرسول ρ هذه الصفات فيقول له القرآن: " لست عليهم بمصيطر " [الغاشية – 22] ". وما أنت عليهم بجبار " [ق – 45]. وروح القدس هو جبريل عليه السلام لقوله تعالى: " قل نزَّله روح القُدُس من ربك بالحق] " النحل – 102].

6- ثم ذكر صاحب الكتاب صفات لا تليق بمسلم فضلاً عن رسول هو من أفضل البشر فيقول عن الرسول ρ : (**أحيد، أجير، جرثومة**). [ص37، 115]. وفي أول الكتاب رفع المؤلف الرسول ρ إلى درجة الإله حينما قال : (محيي، ناصر، شاف، منج ...) إلى آخر الأوصاف التي مرت، وهنا ينزل بالرسول ρ إلى درجة (جرثومة، أجير) وهذا ما تقشعر له الأبدان، وتشمئز منه النفوس، وحاشاه ρ من ذلك، هو الذي نفع الله به الأمة، وبلّغ الرسالة، وأنقذ بتعاليمه الناس من الظلم والشرك والتفرقة إلى العدل والتوحيد.

7- ثم بعد هذا الكلام الباطل يعود ليصف الرسول ρ بأوصاف كاذبة فيها الشرك الذي يحبط العمل كقوله في [صفحة 90]. (**اللهم صلِّ على من تفتقت من نوره الأزهار، واخضَّرت من بقية ماء وضوئه الأشجار**) .فالله عزَّ وجلَّ هو الذي خلق الأشجار وهو الذي فتق أزهارها، وأعطاها لون الخضرة.

8- ثم يقول عن الرسولρ [ص 100]: (**والسبب في كل موجود**). إن كان قصده أن الموجودات خلقها الله لأجل محمد ρ فهذا كذب وضلال. لأن الله تعالى يقول : " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون "[الذاريات – 56].

9- ثم يقول المؤلف ص198 : (**اللهم صل على محمد ما سجعت الحمائم، وحامت الحوائم، وسرحت البهائم، ونفعت التمائم**). وهذا الكلام يخالف كلام الرسول ρ الذي نهى عن التمائم فقال : " من علَّق تميمة فقد أشرك " [صحيح رواه أحمد]. (والتميمة : هي الخرزة أو الودعة أو غيرها تعلَّق على الولد، أو السيارة، أو البيت لرد العين) وهي من الشرك : وكلام المؤلف يخالف القرآن، فالنفع والضر بيد الله قال تعالى : " وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيءٍ قدير " [الأنعام – 17].

10- ثم يقول الجزولي : (**اللهم صلِّ على محمد حتى لا يبقى من الصلاة شيء، وارحم محمداً حتى لا يبقى من الرحمة شيء، وبارك على محمد حتى لا يبقى من البركة شيء، وسلم على محمد حتى لا يبقى من السلام شيء**) [ص64] ... نقول : هذا كلام باطل يخالف القرآن فإن صلاة الله، ورحمته، وبركته، وسلامه وكلماته دائمة لا تنفد ولا تفنى، قال الله تعالى : " قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً) [الكهف – 109].

11- جاء في كتاب دلائل الخيرات أيضاً (**اللهم صلِّ على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق ... ولا شيء إلا وهو منوط، إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط**) .

نقول : هذا كلام باطل في أوله، وسخيف معقد في آخره يخالف الشرع والعقل، ثم يقول في تتمة هذا الدعاء [ص26]: (وزج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى، ولا أسمع، ولا أحس إلا بها). لاحظ أخي المسلم أن في هذا الدعاء أمرين: أ -قوله : (وانشلني من أوحال التوحيد). والأوحال هي الطين والأوساخ، فهل للتوحيد أوساخ ؟. !إن توحيد الله في العبادة والدعاء نظيف ليس فيه أوحال أوأوساخ كما يزعم ابن مشيش، وإنما الأوحال والأوساخ في دعاء غير الله من الأنبياء أو الأولياء، وهو من الشرك الأكبر الذي يحبط العمل ويخلد صاحبه في النار. ب -قوله : (وزج بي في بحار الأحدية، وأغرقني في عين بحر الوحدة). أقول : هذه وحدة الوجود عند بعض الصوفية التي عبَّر عنها زعيمهم ابن عربي المدفون بدمشق حيث قال في الفتوحات المكية: العبد رب، والرب عبد يا ليت شعري من المكلف ؟إن قلت عبد فذاك حق وإن قلت رب فأني يكلف ؟ فانظر كيف جعل العبد رباً، والرب عبداً، فهما مستويان عند ابن عربي وابن مشيش الذي ذكر كلامه (دلائل الخيرات)

12- ثم ذكر المؤلف [ص 83]: (**اللهم صل على كاشف الغُمة، ومُجْلي الظلمة، ومُولي النعمة، ومؤتي الرحمة**). نقول : هذا إطراء لا يرضاه الإسلام وقد نهى الرسولρ عنه.

13- ثم يقول علي بن سلطان محمد القاري في ورده الذي سماه : (الحزب الأعظم) المطبوع على هامش (دلائل الخيرات) : (**اللهم صلِّ على سيدنا محمد السابق للخلق نوره**) . [ص 138]. نقول : هذا كلام باطل يكذبه الحديث القائل : " :إن أول ما خلق الله القلم "[رواه أحمد وصححه الألباني]. أما حديث : " أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر. " فهو حديث عند أهل الحديث مكذوب وموضوع وباطل.

14- جاء في بعض النسخ من كتاب (دلائل الخيرات) وفي آخر قصيدة جاء فيها:

بأبي خليل شيخِنا وملاذِنا * قطُب الزمان هو المسمى محمدُ**

يقول :إن شيخه محمد يلوذ به ويلتجئ إليه عند المصائب، وهذا شرك، لأن المسلم لا يلوذ إلا بالله، ولا يلتجئ إلا إليه لأنه حي قادر، وشيخه ميت عاجز لا ينفع ولا يضر. ويعتقد أن شيخه قطب الزمان، وهذا

اعتقاد الصوفية القائلة : إنَّ في الكون أقطاباً يتصرفون في أمور الكون، حيث جعلوهم شركاء لله في تدبير الأمور، مع أن المشركين السابقين يعتقدون أن المدبر للكون هو الله وحده . قال الله تعالى : " قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الأمر فسيقولون الله"[يونس – 31].

تنبيه :–

لقد ورد في كتاب (دلائل الخيرات) أدعية صحيحة، ولكن هذه الطامات الكبرى السابقة الموجودة فيه أفسدت عقيدة القارئ للكتاب إذا اعتقد بها، فلم تعد تنفع الأدعية الصحيحة.

وفي الكتاب أخطاء كثيرة، ومن أراد التوسع فيرجع إلى كتاب (كتب ليست من الإسلام) لمؤلفه الأستاذ محمود مهدي استانبولي حيث تكلم عنه، وعن قصيدة البردة، ومولد العروس، وطبقات الأولياء للشعراني، وتائية ابن الفارض، والأنوار القدسية، والتنوير في إسقاط التدبير، ومعراج ابن عباس، والحكم لابن عطاء الله السكندري وغيرها من الكتب التي طالبَ المؤلف بإحراقها لما فيها من الضرر على عقيدة المسلمين[2].

من كتاب

(الياقوت والمرجان في عقيدة أهل الإيمان)

للشيخ أبي النور المقدسي

---

[2] فيما يتعلق بالصوفية والتعليق على قصيدة البُردة وكتاب دلائل الخيرات نخلته بتصرّف من كتاب توجيهات إسلامية للشيخ محمد جميل زينو.